عالم السدود والقيود

تأليف الاستاذ عباس محمود العقاد

للأستاذ كامل محمود حبيب

أهو كتاب أدب ؟

أهو بحث فلسفى اجتماعى ؟

أهو نقد يراد به إصلاح ناحية خاصة ؟

أهو سرد حوادث مرّت على عينى الكاتب فسجلها يُراد المتعة وإزجاء الفراغ ؟

أهو صرخة من أعماق قلب رجل طوحت به الأيام إلى قرارة سجن . . فتلمس فيها الثورة والحنق . . . ؟

أم هو ماذا ؟ . .

لقد كفانا الأستاذ ـ وهو يقدم لكتابه ـ مئونة التخبط بين هذه الأسئلة فقال : « لست أعنى بها (الصفحات) أن تكون قصة ، وإن كانت تشبه القصة فى سرد حوادث ووصف شخوص ؛ ولست أعنى بها أن تكون بحثاً فى الإصلاح الاجتماعى ، وإن جاءت فيها إشارات لما عرض لى من وجوه الإصلاح ؛ ولست أعنى بها أن تكون رحلة ، وإن كانت كالرحلة فى كل شىء إلا أنها مشاهدات فى مكان واحد ؛ ولا أستقصى كل ما رأيتُ وأحسستُ وإن كنتُ أقول بعد هذا أن الاستقصاء لا يزيد القارىء شعوراً بما هناك ، لافرق بينه وبين الخلاصة إلا فى التفصيل والتكرار . . »

نعم ، لم يرد المؤلف شيئاً من هذا وإنما أرادها جميعاً ، فجمع بين أشتاتها وألف بين أطرافها ثم زاد عليها نقداً فى سخرية ، وتهكما فى مرارة ، بثهما فى أعراض هذا السفر الصغير فهو قد قال فى باب « المنع والترخيص » . . « فاذا أبيح الشىء مرة فانما يُباح فى حالة لا تسرى إلى غيرها ، وفى وقت لا يمتد إلى ما بعده . . الخ الخ » وفى قصة الفجل والجرجير ص ٥٢ ، ص ٥٣ نوع من هذا التهكم اللاذع

ولا يبرح الاستاذ العقاد فى كتابه يطرفنا بنكتة مستملحة أو حادثة ممتعة منذ دخل فى عالم السدود والقيود إلى أن خرج منه ، ففى باب « الليلة الأولى فى السجن » وكذا فى باب « أحمد حمزة » من الدعابات مالا يستطيع معها القارىء أن يمسك عن الانفجار ضحكا وقهقهة كأنه أراد أن يزيل عن القارىء بعض ما يسيطر عليه من الجد وهو يقرأ ، أو كأنه أراد أن يستحث القارىء فيدفعه إلى آخر صفحة من الصفحات ، أو كأنه نسى بعض ماقاسى فى السجن وهو يكتب . . !

وقد يجول بالخاطر أن الإجرام ينزع عن الإنسان إنسانيته فيبدو حيواناً مفترساً يفزعه الناس ، خوف التعدى وخشية الضرر ، غير أننا نرى فى الكتاب براهين وأدلة تأتى على هذه الخاطرة من أساسها ، نراها فى الصفحات (٧٣ ـ ٨٠) وفى صفحة ١٩٧ . . . وقد تدفع الضرورات رجلا دمثاً إلى اقتراف جرم محظور ، فيكشف وينالـه الجزاء ، إلا أنه لايندر أن يظل بعد ذلك رجلا دمثاً كما كان . . .

وإذا كان « السجن إصلاح وتهذيب » كما يقولون ؛ فلم لانرى أثر ذلك فى سجوننا لما ينال السجين من ظلم وإعنات وتحقير ومهانة واستصغار . وإذا كانت هـذه الشدة تفيد فى قليل من الحالات فما لاريب فيه أنها تبذر الحنق والضغينة والحفيظة فى نفس السجين إن كان دمثاً ، وتغرس فيه الثورة والجموح إن كان شريراً . ولقـد أشار المؤلف إلى نظام السجون الأوروبية لنرى مابيننا وبينهم من بون شاسع

فى هذه الناحية ، وإن كان بعض الأمم قد جاوز الحد فيما خولوا السجين من حرية وتسلية . ولقد هفت بى نفسى نحو سجون موسكو — وأنا أقرأ بعض ما كتبه جيمس برفن ستيوارت ص ٢١٠ إلى ص ٢١٤ — لأستمتع بما يستمتعون به بعيداً عن عناء العمل ، وعناء الأمل ، وعناء الفكر ، إلا أنى — وأستميح الاستاذ عذراً — لا أستطيع أن أعمل ثمانى ساعات كل يوم تتخللها ساعة واحدة للطعام . . .

ولقد رأيت فى الكتاب هدوء من يقص قصة لا تضطرب حوادثها فى نفسه ، ولا تلمس مفاجآتها قلبه ، فعجبت — بادىء ذى بدء — غير أنى عدت إلى نفسى فقلت : لعله النسيان قد محا كثيراً من الذكرى ، أو لعله الاطمئنان إلى كل ما يجىء به القدر ، أو لعله الايمان بالتضحية ، أو لعلها حكمة الشيوخ ورزانتهم لا تعبأ . . .

هذه كلمة إن لم يكن فيها الاستقصاء ففيها التعريف بالكتاب وليس بالمؤلف .

كامل محمود حبيب

أحسن القصص

للاساتذة : محمد عطيه الابراشى ، محمود السيد عبد اللطيف ، حسن محمد جوهر

القصة ضرب من الأدب الرفيع تجمع بين رقيق النثر ، ورشيق الشعر ، فلها من الشعر سحره وجماله ، ومن النثر ترسله وانسجامه ، يسير سلساً كالماء ساعة الأصيل رقراقا كالنسيم العليل ، لا تقف فى طريقه جنادل الأوزان ، ولا يغل بأغلال القافية ، وقد صيرت وزارة المعارف القصة أساسا من أسس التعليم فى منهج المدارس الابتدائية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، وتنافس الكتاب فى إصدار القصص ، فهذه قصة تاريخية ، وتلك جغرافية والأخرى أدبية ، والتلاميذ يستسيغون جميع ذلك

وبينا نحن نتمنى للقصة ، فى أفق المدارس ، الكمال والسلامة من زيف الخيال ، وزيغ المطابع والأقلام برزت الحلقة الأولى من حلقات « أحسن القصص » لأساتذة أجلاء بارعين فاذا هى مزيج من الأدبين العربى والافرنجى ، وصلة بين الخيالين الغربى والشرقى فى أسلوب هو — كما يقولون — السهل الممتنع ، والقريب البعيد ، وإذا كان هذا أول الغيث ، فإنه غيث ممرع ، وصيب بالخير مترع ، فالحلقة خالية من التكلف والصنعة مفعمة بالروعة والمتعة ، قد أنفق عليها مؤلفوها عن سعة إيماناً بفنهم واطمئناناً إلى آثارهم ، فالغلاف جميل أنيق يحدثك دون قراءة عنوانه أنه قصة ، وتنطق ريشة المصور بأنها ساحرة ، والورق ناصع ، والطبع صاف دقيق والصور خلابة ، وإن بدا للقارىء أن الكتاب فى غنية عن التصوير ؛ فقلم كاتبه أفصح من ريشة مصوره ، وسحر عبارته آخذ من دقائق صورته .

يشتمل الكتاب على أربع قصص : قصتين عربيتين وأخريين مصريتين ، تلمس فى الأولى حياة العرب فى حضارتهم وجدهم فى دعتهم ، ومزجهم فى حكومتهم ، وسماحتهم فى ضيافتهم ، وتقرأ فى الثانية مثلا لحقد المرأة ، وآخر للحب الظافر ، وفى الثالثة وصف محكم للصحراء وجوها وللواحات وثمراتها ، ولصبر البدو وعزمهم وثباتهم على العقبات فى جلد وصرامة ، وتنتظم الرابعة مواقف محرجة سهلة الابتداء عسيرة الانتهاء ، وفيها مثل نبيلة للحنو والعطف .

وإذا كان على الناقد أن يتقصى الحسنات والسيئات فإنا لانكاد نلقى فى هذه الحلقة سيئات تذكر ، اللهم إلا هنات تبدو كالكلف فى جبين الحسناء ، من ذلك أن صورة الغلاف لا تمثل منظراً فى الكتاب ، والرقصة الموصوفة بأنها عربية فى « خليفة فى الخيال » لا تمت إلى العرب من قريب أو بعيد ، كما أرى وجوه الراقصات وجوها غير عربية ، فالوجه العربى مستطيل غالباً ، وأرى أن توضيح الصور بالكتابة تحت الرسم تزييف لها ، فللرسم لغته ، وهو غنى عن الكلام ، وإلا عد دليل الضعف والقصور ، وتسمية القصة الثالثة « عزة فى الصحراء » تسمية غير موفقة إذ مكانتها فى القصة ثانوية ولا يرفع من منزلتها أنها وحيدة أبيها ، ولفت نظرى تكرار عبارة « حباً وكرامة » فى روايتين عربية وإفرنجية ، وحبذا لو نوعت العبارة ولدى المؤلفين من أفانين القول معين لا ينضب ، على أن الكتاب مع ذلك طاقة يانعة من أزاهير الجمال

الهادى عبد العظيم على قناوى